الفصل السادس

عصر الفترة الثانية

القسم الأول
الأسرتان الثالثة عشرة والرابعة عشرة
(١٧٧٨ – ١٥٩٤ ق.م.)

- الأسرة الثالثة عشرة (١٧٧٨ – ١٦٢٥ ق.م.)
- الأسرة الرابعة عشرة (١٦٢٥ – ١٥٩٤ ق.م.)

سوبك حوتب الأول

القسم الثاني
الهكسوس

- الأسرة الخامسة عشرة (١٥٩٤ – ١٥٦٧ (؟) ق.م.)
- الأسرة السادسة عشرة (١٦٧٠(؟) – ١٦٦٠ (؟) ق.م.)
- الأسرة السابعة عشرة (١١٦٠ (؟)– ١٥٧٠ ق.م.)

obeikan.com

عصـــر الفتـــرة الثـــانيـــة

القسم الأول

الأسرتان الثالثة عشرة والرابعة عشرة

(١٧٧٨ - ١٥٩٤ ق.م.)

بين عهدين :

كانت الأسرة الثانية عشرة من أزهى عصور مصر دون شك ، وكان الملك أمنمحات الثالث من أعظم الفراعنة ليس فى تاريخ تلك الأسرة فحسب ولكن فى تاريخ مصر كلها . وقد اشترك معه فى حكم مصر فى آخر أيامه ابنه أمنمحات الرابع كما أسلفنا ، ثم تلته الملكة ، سوبك نفرو ، التى كانت إبنة لأمنمحات الثالث . وفجأة أخذ نجم هذه العائلة فى الأفول وتولاها الضعف ، وخرج الملك من يدها إلى أسرة أخرى وهى الثالثة عشرة . ويقف التاريخ - أو بعبارة أدق - يقف المؤرخون حائرين يتلمسون الأسباب لهذا التغيير وهذا الضعف الشامل الذى أصاب البلاد فلا يعرفون له سببا واضحا .

ويريد بعض الباحثين أن يرى أن سبب هذا الانحلال راجع إلى ظهور أعداء لمصر ، فى سورية وفلسطين وفى الجنوب ، ويعتمدون على وجود عدد غير قليل من الدمى والأوانى كتبت عليها تعاويذ سحرية لسحق أصحابها (١) .

ولو درسنا هذه التعاويذ والدمى لوجدنا أنها خاصة بأمراء من النوبة أو من آسيا وقفوا موقفا عدائيا من مصر ، فأراد بعض من أحاطوا بالملك أن يقنعوه بأنه من

الممكن سحقهم بواسطة السحر ما دامت تعوز مصر الجيوش ، وفى هذا الدليل الكامل على ضعف البلاد ووقوفها مكتوفة الأيدى أمام ذلك الخطر الذى أخذ يهدد كيانها .

وإنى أقدم هنا مثلا واحدا لما هو مكتوب على دمية من تلك الدمى : « باكويت المسمى جاى ، حاكم أباتس بن أهاسى وأونكات وجميع حلفائه الذين معه وجميع رجالهم الأقوياء وعدائيهم وجميع أصدقائهم وأتباعهم ، وكل ما تحدثه نفسه بالثورة أو التآمر ، والذين يحاربون أو يفكرون فى الحرب ، أو الذين يفكرون فى الخروج عن الطاعة فى جميع تلك البلاد » ، وإذا درسنا هذه المجموعة لوجدنا أن بين أصحابها كثيرين من أمراء الجنوب وأمراء الإمارات السورية ، وأسماء أصحابها أحيانا سامية وأحيانا أخرى مصرية . ونعرف من بين البلاد التى ذكرت على هذه الدمى أسماء جبيل (بيبلوس شمالى بيروت) وعسقلان ويافا كما ظهرت فيها لأول مرة كتابة إسم أورشليم Au-shamem (أوشاميم) .

وهناك ظاهرة أخرى وهى وجود دمى لبعض المصريين أيضا ، ومعنى ذلك أن مصر كانت تعانى شدة كبرى ، وأن مصريين فى مصر نفسها وأمراء سورية والسودان الذين كانوا يدينون لها بالطاعة أخذوا فى الثورة عليها وإن فرعون أصبح عاجزاً عن قمع الثورة فالتجأ إلى السحر لعله ينقذه مما هو فيه .

وهنا نعود مرة ثانية لنتساءل عن سبب هذا الإنهيار وتعليله فلا نجد إلا فروضا يمكننا أن نسوقها ، ولكن لا نجد فى النصوص المصرية ما يؤكدها تماما . وأول هذه الفروض أن ملوك الأسرة الثانية عشرة جاءوا وكانت مصر محكومة بحكام أقوياء فحاربوا بعضهم وهادنوا أو حالفوا البعض الآخر ، ولكن بقى للكثيرين منهم الجاه والثروة فى أقاليمهم فانتهزوا فرصة الضعف الذى انتاب البلاد بعد أمنمحات الثالث واستعادوا سلطانهم القديم ، خصوصا وأنه منذ بدء الأسرة الثانية عشرة كانت الخلافات والحزازات الداخلية فى العائلة تقطع أوصالها ، وكانت المؤامرات فى البيت المالك سببا من أسباب انهياره . وإلى جانب هذين الفرضين توجد حقيقة هامة ربما كانت هى أقوى الأسباب ، وهى أنه منذ عام ٢٠٠٠ ق.م. تقريبا بدأت بعض الشعوب الهندو – أوروبية تأتى من الشرق والشمال من موطنهم الأصلى فى أواسط آسيا لتستقر فى بلاد الرافدين وفى سورية . وترتب على هذه الهجرات اضطراب فى تلك الولايات ، وقد حاربت بعض هذه القبائل سكان البلاد الأصليين وأجلتهم عنها ، كما استقرت قبائل أخرى مع السكان وعاشوا فى وئام ؛ لأن هذه الهجرات لم تتخذ طابع الغزو المنظم ، وإنما جاءت هذه الشعوب تباعا فى طلب العيش . ولم يمض غير قرنين من الزمان حتى أصبح منهم أمراء يحكمون البلاد ، بل إننا نستطيع أن نرى بين

أسماء أمراء سورية الذين ذكرت أسماؤهم على الدمى أن بعضهم يتسمى بأسماء غير سامية وربما كانوا من هؤلاء الغزاة الشماليين .

وأمام هذه الأخطار كلها لم يكن لمصر المفككة العرى من سبيل إلا الاستسلام للقضاء .

ملوك الأسرة الثالثة عشرة وآثارهم :

لا يمكن أن يكون قد زاد حكم ملوك هذه الأسرة عن خمسة وخمسين عاما؛ لأن مدة حكم الأسرتين الثالثة عشرة والرابعة عشرة لم يكن يزد على قرن ونصف كما سنرى ، وأن المدة التى تفصل الأسرة الثانية عشرة عن الأسرة الثامنة عشرة لم تزد على قرنين من الزمان ، بينما نرى أن المؤرخ المصرى مانيتون قد ذكر أنها تزيد عن خمسة عشر قرنا . وقد واجه مانيتون الصعوبة التى نواجهها الآن . فقد كانت أمامه قوائم طويلة لعائلات مختلفة فى نواحى مصر ، وكان كل منها يدعى الملك وأنه حاكم الشمال والجنوب ، فاعتبر مانيتون أن كل بيت من هذه البيوت حكم البلاد كلها ثم تلته البيوت الأخرى ، بينما الواقع أنها كانت تحكم فى وقت واحد عندما كانت مصر مفككة الأوصال . كان هناك بيت قوى فى طيبة وكان هناك بيت آخر فى قفط وثالث فى أسيوط ورابع فى شرق الدلتا وخامس فى غربها . وكان نفوذ بعض هذه البيوت يزداد حينا ويتقلص حينا آخر ، ولكن أهمها جميعا هو ما نسميه الأسرة الثالثة عشرة وهو البيت المالك الذى حكم على الأرجح فى منف فى الشمال وخلف آثارا كثيرة فى طيبة ، وفى أماكن كثيرة فى البلاد ، والذى ظهر من حكامه بعض ملوك امتد نفوذهم جنوبا إلى بلاد النوبة وشمالاً إلى لبنان .

وأول ملك معروف لنا هو « سخم – رع – خو – تاوى » الذى تسمى أيضاً باسم « أمنمحات ، سوبك ، حوتپ » . ويريد بعض المؤرخين أن ينسب إليه أنه تزوج من الملكة « سوبك نفرو رع » ولكن يعوزنا الدليل على ذلك . وتلاه على العرش ملك آخر اسمه « سعنغ تاوى سخم كارع » وقد جاء اسمه فى بردية تورين مثل سابقه ، وعثر على آثار له فى مختلف جهات مصر ، ولكن بدأت تسجيلات مقاييس النيل فى سمنه وكمه تنقطع فى عهده مما يجعلنا نرجح أن بدء عدم استقرار الأمور فى النوبة راجع إلى أيامه .

ولدينا عشرات من أسماء الملوك الذين عثر على تماثيل ولوحات لهم فى نواح متعددة من مصر فى شمالها وجنوبها ، ومن بين هؤلاء الملوك واحد يدعى « خع – سخم – رع ، سوبك حوتپ » ، عثر على أكثر من تمثال له فى صان الحجر ، وعثر

على تمثال له فى جزيرة أرقو بين الشلالين الثالث والرابع . ومن الأسماء الظاهرة بين هؤلاء الملوك اسم الملك ، سمنخ كارع إميرا مشع ، واسم الملك ، خع سخم رع – نفر حوتب ، الذى يقترن اسمه بلوحة عثر عليها فى بيبلوس وتمثل أمير ذلك الإقليم واسمه ، يوناتان ، جالسا أمام أسمائه مما يدل على امتداد نفوذ مصر إلى بعض مناطق سورية فى عهده ، وربما كان هذا الملك ممن كانت لهم السيطرة التامة على شرقى الدلتا على الأقل .

ولابد من الإشارة إلى ملك آخر وهو ، سواج – إن – رع ، الذى جاء ذكر اسمه على لوحة عثر عليها فى الكرنك ، وعليها صورة عقد يتنازل فيه حاكم إقليم الكاب عن منصبه لأحد أقاربه مقابل ٦٠ دبناً (٩١ جراماً = دبناً) من الذهب ، وهى تشمل ذهبا وحبوبا وثيابا .. الخ .

أما الملك ، نحسى ، فإن ألقابه ووصفه بأنه ، حبيب ست رب أواريس ، تجعلنا نرجح أنه كان ذا صلة بأيام الهكسوس ، الذين كانوا قد بدأوا يستقرون فى شرقى الدلتا منذ أواسط أيام هذه الأسرة . ومن أبرز الأسماء فى هذه الأسرة اسم الملك ، خنجر ، الذى عثر على هرمه فى سقارة القبلية والذى نعرف أيضا أنه أمر وزيره ، عنخو ، ليقوم بإصلاح معبد سنوسرت الأول فى أبيدوس محتذيا بما قام به ملك يسمى ، نفر حوتب ، الأول وهو من هذه الأسرة أيضا ، ونعرف من إحدى اللوحات أنه جمع رجال بلاطه وأمرهم بدراسة الكتب القديمة لإعادة تشييد معبد أوزيريس فى أبيدوس كما كان وقت إنشائه منذ القدم (١) .

وكان ملوك الأسرة الثالثة عشرة ، وربما الرابعة عشرة أيضا ، يدفنون فى جبانة منف ، وقد أشرنا إلى هرم الملك ، خنجر ، فى سقارة القبلية الذى كشفت عنه حفائر مصلحة الآثار فى عام ١٩٢٩ ، وكشفت فى الوقت ذاته على مقربة منه عن هرمين آخرين لم يكن قد انتهى العمل فى أحدهما ، ولم يستطع القائمون بهذا الكشف أن يعرفوا اسمى صاحبيهما .

وفى عام ١٨٩٤ كشف عن قبر ملك يسمى ، حور – إو إب ، وكان فى الناحية الشمالية من هرم أمنمحات الثالث فى دهشور داخل السور المحيط بالهرم ، وعثر فى هذا المدفن على أشياء ثمينة ومن بينها تمثاله الخشبى الشهير الذى يمثله واقفا فى

ناووس من الخشب وقد مثله الفنان عاريا وفوق رأسه علامة الرمح ، كا ، وهو الآن فى المتحف المصرى .

وفى عام ١٩٥٧ أذيع فى الصحف نبأ الكشف عن هرم ملك يسمى ، أمينى عامو ، فى دهشور ، كتبوا اسمه على أوانى الأحشاء التى هشمها اللصوص ، ولكن فحص هذا القبر لم ينته بعد ، ومازال هناك أمل كبير فى العثور على أشياء أخرى .

وليس لدينا حتى الآن دليل على أن هذا الملك حكم فى الأسرة الثالثة عشرة ، وربما كان ملكا فى زمن آخر بين هذه الأسرة السادسة عشرة ، ولكن مهما كان الأمر فإن الكشف عن قبر فى هذه المنطقة من الجبانة المنفية وعلى بعد مئات قليلة من الأمتار من مدفن الملك ، حور إوا إب ، يعطينا بعض الأمل فى أننا سنعرف أيضاً أسماء غيره من ملوك عصر الفترة الثانية متى تم حفر ذلك العدد الكبير من المرتفعات التى تملأ هذه المنطقة ، وتمتد مسافة طويلة على حافة بركة دهشور ، وهى كلها إلى الشرق من هرم سنفرو القبلى وإلى الجنوب من هرم أمنمحات الثالث .

ومن الجدير بالذكر أيضاً أنه قد عثر على آثار بعض ملوك الأسرة الثالثة عشرة فى منطقة الختاعنة فى مركز فاقوس ومن بينها هريم من الحجر ، ومن الصعب جدا أن يقول أحد إن كانت بعض مقابر ملوك ذلك العهد كانت فى شرقى الدلتا حيث عثر على تلك الآثار ، أو أنهم جاءوا بها من منف لاستخدامها فى البناء فى عصور تالية .

الأسرة الرابعة عشرة (١٦٢٥ - ١٥٩٤ ق.م.) :

ويحدثنا مانيتون أنه بعد انتهاء حكم الأسرة الثالثة عشرة تلاهم ملوك الأسرة الرابعة عشرة ، وكان مقر حكمهم فى مدينة سخا فى غربى الدلتا . وجاء فى أقوال مانيتون أن عدد ملوك هذه الأسرة ستة وسبعون ملكا حكموا مائة وأربعة وثمانين عاما . وتذكر بردية تورين نحو واحد وعشرين ملكا منهم ، أما ثبت الكرنك فلم يشر إليهم . ومهما كانت قيمة كتابة مانيتون ومهما كثر عدد الملوك الذين جاء ذكرهم فى بردية تورين ، فمن المرجح أن هذه الأسرة بدأت فى الوقت الذى بدأت فيه الأسرة الثالثة عشرة ، ولكنها استمرت مدة أطول : لأنها كانت بعيدة عن مقر الهكسوس فى الشرق . أما آثار ملوك هذه الأسرة - إن كان مازال لدينا أمل فى العثور على آثار لهم - فإنها إما مازالت كامنة تحت حقول المنطقة ، لم تكشف عنها يد حتى الآن ، أو أن

تكون الأيام قد عفت عليها لكثرة ما تعرضت له بلاد الدلتا من محن على مر السنين.

ومهما يكن من أمر ، فإن الأسرة الرابعة عشرة كانت تحكم فى سخا فى وقت من الأوقات ، بينما كان شرقى الدلتا خاضعا للهكسوس الذين بدأت طلائعهم تستقر هناك . أما طيبة ، وجزء كبير من الصعيد ، فقد ظلت تحت نفوذ البيوت الحاكمة هناك .

obeikandl.com

القسم الثانى

الهكســـوس

مقدمة :

لم يحظ عصر من عصور التاريخ المصرى بعناية المؤرخين كما حظيت به تلك الفترة التى تعرضت فيها مصر لمحنة غزوها بشعب أجنبى أطلق عليه الناس اسم الهكسوس . وإذا أردنا حصر الأبحاث الجدية التى نشرت عنه لبلغت العشرات ، ومع ذلك فإن هناك كثيرا من النقط الغامضة التى مازالت موضع نقاش عنيف بين المؤرخين ، وهناك نقط أخرى مازلنا نجهل تأويلها ، ومازال علم الآثار يضيف من آن إلى آخر عن ذلك العصر كثيرا من المعلومات ، سواء أجاءت هذه المعلومات من مصر نفسها أو من خارج حدودها وبخاصة فى فلسطين . ولكن قبل أن نتحدث عن تاريخ هذه الفترة وأثرها فى تاريخ مصر ، يجمل بنا أن نعود قليلا إلى الوراء بل ونترك أيضا حدود مصر ونلقى نظرة على ما كان يجرى فى غربى آسيا .

ففى القرن التاسع عشر قبل الميلاد أى فى أواخر أيام الأسرة الثانية عشرة كان نفوذ مصر السياسى والاقتصادى والثقافى سائدا فى غربى آسيا . وكانت مصر دون شك أقوى بلاد الشرق الأدنى ، وكانت تتدفق عليها خيرات آسيا والنوبة وشمال السودان وشمال إفريقيا وجزر البحر الأبيض . وبالرغم من انتهاء أيام الأسرة الثانية عشرة حوالى عام ١٧٨٠ ق.م. (١٧٧٨ على وجه التحديد) (١) ، وتعرضها داخليا للضعف والإنحلال فإن نفوذها فى خارج حدودها لم يتأثر كثيرا ، ولم يجد بعض ملوك الأسرة الثالثة عشرة صعوبة فى الإبقاء على ولاء أمراء بعض الولايات وبخاصة فى بيبلوس وأوجاريت (رأس الشمر على مقربة من ميناء اللاذقية فى سوريا، كما ظل النفوذ المصرى أيضاً فى كرمة (فى نقلة) كما كان من قبل .

ولم تكد مصر تحاول النهوض من كبوتها حتى اضطرتها ظروف أخرى خارجية إلى التعثر ثانية ، فقد بدأت شعوب بلاد الرافدين وسورية وما جاورها عصرا

جديدا من تاريخها . فإننا نعرف من وثائق مدينة مارى (إسمها الحديث تل الحريرى فى سورية ، قريبا من حدود العراق) [١] ، والتى يعود تاريخها إلى منتصف القرن الثامن عشر ، أن الملك الأشورى ، شمشى أداد الأول ، (Shamshi - Adad I) كان حاكما على جزء كبير من الجزء الأعلى من بلاد الرافدين ، ولكن ابنه ، إشمادجن ، (Ishma-Degan) لم يستطع المحافظة على قوة أشور السياسية فاستطاعت مارى أن تحرر نفسها . وهذا هو نص خطاب تلقاه ، زمرى ليم ، (Zimri - Lim) حاكم مارى وهو يلقى كثيرا من الضوء على الموقف السياسى فى هذه المنطقة من بلاد الشرق فى ذلك العهد .

، لا يوجد ملك واحد يمكن أن يقال عنه إنه أقوى الجميع ، فإن عشرة أو خمسة عشر ملكا يتبعون ، حمورابى ، (ملك) بابل ومثل هذا العدد يتبعون ، ريم سين ، (Rim-Sin) (ملك) لارسا (Larsa) ومثل هذا العدد يتبعون ، إيبال بى إيل ، (Ibal Pi El) (ملك إشنونا Eshnuna) ومثل هذا العدد يتبعون ، أموت بى إيل ، (Amut Pi El (ملك) قطنا (Qatna) ، و،عشرين ملكا يتبعون ، يريم ليم ، (Yarim Lim) (ملك يمخد) (Yamkhad) [٢] ولكن هذه الاتحادات الصغيرة من المدن لم تبق طويلا فإن حمورابى ملك بابل هزم لارسا ومارى واستولى عليهما ومن المحتمل أيضا أن يكون قد حكم مملكة أشور ، ولكن لم يمض إلا زمن قليل حتى بدأت قبيلة من الجبال الشرقية تنزل إلى السهل وهذه القبيلة هى التى يطلق عليها المؤرخون إسم ،الكاسيين، (Kassites) ، التى استقرت وأسست حكمها فى الجزء الشرقى من مملكة بابل .

أما فى شمالى بلاد ما بين النهرين أى فى أشور ، فإن شعبا أجنبيا آخر وهو شعب ، الحريين ، (Hurrians) جاء أيضاً من الشرق ولم يلبث إلا قليلا حتى صار له نفوذ كبير فى البلاد ، وكان من الطبيعى أن يحدث التصادم بين الكاسيين والحريين ، وأن يشتد بينهما التنافس ، ولكن الحريين آثروا ترك ما سبق أن استولى عليه الكاسيون واتجهت أنظارهم نحو الجنوب الغربى فهاجموا بعض المدن هناك وكانت من بينها مدينة آلالاخ (Alalahk) عاصمة مملكة ، يمخد ، وتلا ذلك اضطراب عام فى جميع البلاد السورية نشأ من جراء هذه الهجرات التى تدفقت عليها من ناحية الشرق ، ولم تكن هناك مندوحة من أن تتأثر مصر بما كان يجرى على حدودها ، وكان من

المحال أن تبقى بمنأى عن نتائج هذه الهجرات والغزوات فى بلاد الشرق الأدنى .

وقد سبق أن تحدثنا بالتفصيل عن حالة مصر وضعفها النسبى فى عهد الأسرة الثالثة عشرة ، وأشرنا إلى أنه من المحتمل أن تكون بعض الشعوب المهاجرة قد بدأت تستقر فى شرقى الدلتا منذ أواسط أيام هذه الأسرة وأن ذلك كان بداية ظهور الهكسوس فى مصر .

وبعد هذه المقدمة يبقى أمامنا موضوع الهكسوس نفسه ، وهو ينقسم إلى ثلاثة أقسام :

١ – من هم الهكسوس ؟

٢ – حكم الهكسوس فى مصر ؟

٣ – طردهم من مصر .

ولنبدأ الآن بالقسم الأول من الموضوع .

١ – من هم الهكسوس ؟

كتب مانيتون يقول [١] : « فى عهد الملك توتيمايوس [٢] (Toutimaios) ، ولا أدرى السبب فى ذلك ، أصابتنا ضربة من الله ، ودون أن نتوقع ذلك جاءنا غزاة من جهة الشرق من أصل مجهول ، ساروا تملؤهم الثقة فى النصر ضد بلادنا وتمكنوا بقوتهم من الإستيلاء عليها بسهولة دون ضربة واحدة وبعد أن تغلبوا على حكام البلاد حرقوا مدننا دون رأفة ، وهدموا معابد الآلهة من أساسها وعاملوا جميع الأهالى بعداء قاس ، فذبحوا البعض وأخذوا نساء وأطفال البعض الآخر ليكونوا إماء وعبيدا لهم . وأخيرا عينوا واحدا من بينهم إسمه « ساليتيس » (Salitis) ليكون ملكا عليهم فأقام فى منف وفرض الضريبة على شمالى مصر وجنوبيها وكان يترك دائما الحاميات فى أكثر المواقع المناسبة » . ويزيد مانيتون على ذلك بأن ساليتيس بنى حصنا فى أواريس فى شرقى الدلتا ويذكر أنه ترك فيها حامية عدد رجالها ٢٤٠,٠٠٠ مزودين بأسلحتهم ، وكان يذهب لزيارة هذا الحصن ويتفقد رجاله فى شهور الصيف من كل عام . ويذكر مانيتون عددا من ملوك الهكسوس كما يذكر بعد ذلك قصة إخراجهم من

مصر [١] . ولكن هناك فى الوثائق المصرية القديمة بعض ما يزيد من معلوماتنا عنهم فقد أشارت الملكة حتشبسوت فى معبدها المنحوت فى الصخر فى بنى حسن (اسطبل عنتر إلى الهكسوس بقولها ، لقد أقمت ما كان قد تداعى ، وكذلك ما كان قد تهدم فى الوقت الذى كان فيه الأسيويون يحكمون فى أواريس فى الشمال ، وكانوا بجحافلهم المتجولة يعيشون بين الناس فسادا محطمين ما كان قائما . إنهم كانوا يحكمون دون (اعتراف بسلطان) رع ، وكان رع لا تنفذ له إرادة إلهية حتى جاء عهدى العظيم [٢] . وفى لوحة كارنارفون أو لوحة الكرنك الجديدة أو بردية ساليه التى سنتحدث عنها فيما بعد ، لا نجد ما يفيدنا فى البحث عن أصل الهكسوس أكثر من نعتهم بأنهم « أسيويون » .

من ذلك كله نرى أنه لا جدال بين العلماء فى أن الهكسوس أتوا من الشرق وأنهم جاءوا من آسيا ، ولكن إذا أردنا أن نقترب أكثر من ذلك لنعرف من أى جنس كانوا فإننا نصل إلى النتيجة الآتية : وهى أنهم ليسوا من شعب واحد وإنما من شعوب متعددة ، وأنه وإن غلبت فى أسمائهم الأسماء السامية فإننا نجد أيضا أن فيهم عناصر غير سامية لا شك أن بعضها « كاسى » والبعض الآخرى « حرى » ، وكلا الجنسين من أصل هندو – أوروبى نزل من أواسط آسيا كما سبق القول .

وكلمة الهكسوس ليست اسما ساميا أو آريا بل كلمة مصرية وهى تحريف للقب معروف منذ الأسرة الثانية عشرة وهو « حقا خاسوت » ، أى حاكم البلاد الأجنبية ، وكان لقبا يطلقه المصريون على زعماء القبائل البدوية التى كانت تعيش فى شرقى مصر ، ونراه مكتوبا فوق منظر قدوم البدو الساميين فى إحدى مقابر بنى حسن كما جاء أيضا فى قصة سنوهى أثناء حديثه عن إقامته بين بدو لبنان – سورية . ولا جدال فى أن هؤلاء الهكسوس جاءوا من طريق فلسطين وربما كانت جحافلهم

المختلطة مستقرة هناك قبل مجيئهم إلى مصر ، فلما ضغط عليهم غيرهم هاجروا إلى وادى النيل وحملوا معهم كثيرا من عاداتهم ومظاهر ثقافتهم .

وكانت هناك آراء فى أنهم جاءوا عند غزوهم لمصر بالخيل والعربات الحربية ، وأنه كانت لهم مملكة واسعة شملت رقعة كبيرة من آسيا مدللين على ذلك بتشابه الحصون الحربية ووجود أنواع خاصة من الفخار ، ولكن أحدث الأبحاث العلمية لا تقبل هذه الآراء الخاصة بإمبراطورية هكسوسية بحال من الأحوال . كما أنه يعوزنا الدليل على أن الغزاة الأجانب جاءوا بالخيل والعربات، بل أنهم لا يستعملوها إلا فى أواسط أيام حكمهم فى مصر وبعد أن مر عليهم فيها نصف قرن على الأقل (١) ، أو ربما بعد ذلك أيضا قبيل طردهم من مصر .

٢ – حكم الهكسوس :

تعتمد معلوماتنا عن هذا الموضوع على مصدرين أولهما ما كتبه مانيتون وما جاء على الآثار ، أما ثانى المصدرين فهو ما أخرجته الحفائر الأثرية فى مصر وفلسطين.

وتجمع المصادر المصرية على أن الهكسوس كانوا قوما مخربين وأنهم أذلوا مصر وخربوا معابدها ، ولكن النقد الصحيح لا يمكن أن يقر الاعتماد على وجهة نظر أحد الخصمين فقط فإن ما وصل إلى يدنا من هذه النصوص كتبه المصريون بدافع الوطنية الخالصة أو بدافع آخر من الزهو والدعاية من جانب الملوك المتأخرين مثل حتشبسوت الذين قاموا بإصلاح ما أصاب بعض المعابد أثناء حرب التحرير .

فمثلا نقرأ فى نص حتشبسوت إنهم لم يعرفوا الإله « رع » ولم يوقروه بينما نرى الكثيرين من ملوكهم جعلوا اسم رع جزءا من أسمائهم مثل « عا أوسر رع » و « نب خبش رع » و « عاقنن رع » (٢) ، بل أن بعض ملوكهم كتبوا أمام أسمائهم أنهم « ابن رع » جريا على عادة من سبقهم من ملوك مصر . وفى هذا دليل على عدم صحة ما ادعته حتشبسوت .

أما عن سوء معاملتهم للمصريين فإن هذا أمر طبيعى ، فويل للمغلوب من

الغالب فى كل زمان ومكان ، وليس عجيبا أن نسمع بأن القاهر كان ظالما أو مستبدا بل العجيب أن نتوقع أن نسمع من المغلوب رضاءه عن قاهريه وسالبى حريته ومن أذاقوه طعم المذلة والهوان .

وإذا رجعنا إلى الآثار نفسها لوجدنا أن مدة احتلال الهكسوس لمصر لم تدخل أى تطور ملحوظ على الفن المصرى أو الحياة المصرية ، فكل شيء سار فى مجراه الطبيعى وإذا كانت هناك بعض عناصر جديدة فى الفن المصرى أو فى الفخار فإنها كانت نتيجة منتظرة لزيادة اتصال مصر بغربى آسيا عندما كان الهكسوس فى شرقى الدلتا وكان أهلهم الأقربون يعيشون فى فلسطين وسورية .

أما ديانتهم – أو ديانة الذين لم يعتنقوا ديانة المصريين من بينهم – فإنها تركزت فى عبادة الإله سوتخ وهو دون شك أحد مظاهر الإله « ست » المصرى الذى كان معبودا فى شرقى الدلتا منذ الدولة القديمة (١) وأنه لم يكن غريبا على البلاد . والمرجح أن الهكسوس رأوا فى هذا الإله شبيها أو صورة من الإله الأسيوى « بعل » ، فقبلوا أن يعبدوه وجعلوا منه المعبود الأكبر فى البلاد ، فكان فى هذا الإجراء بعض ما آذى شعور السكان الذين كانوا يعبدون آلهة أخرى . ولكنا نعرف أيضا أن الحمار كان ذا شأن فى ديانتهم وسواء أكان هذا الحيوان رمزا للإله سوتخ أو رمزا لمعبود آخر فأنهم كانوا يجلونه ويدفنونه فى مقابرهم وكان الهكسوس يرسمون الإله سوتخ فى مظهر أسيوى أكثر منه مصريا فإنه كان قريبا من مظاهر الآلهة الأسيوية أمثال « بعل » و « رشب » (Reshep) و « تشوب » (Teshub) فإن رداءه ولباس رأسه الذى يخرج منه القرنان صورة تامة للآلهة الأسيوية (٢) وهناك أثر هام لتاريخ ست والهكسوس على السواء ، وهذا الأثر هو اللوحة المعروفة باسم لوحة عام ٤٠٠ (٣) ، التى عثر عليها مربيت فى صان الحجر ثم دفنت ثانية وبحث عنها بترى وبارازنتى دون جدوى إلى أن عثر عليها مونتيه فى حفائره هناك . وقد أقام الملك رمسيس الثانى هذه اللوحة تخليدا لزيارة أبيه وجده لهذه المدينة فى وقت من الأوقات وكان ذلك فى أيام الملك حور محب عندما كان الجد أحد قواد الجيش وكان الأب ضابطا فيه . حدثت هذه الزيارة حوالى عام ١٣٣٠ ق.م. ، وكان قد مضى إذ ذاك على بدء عبادة « ست »

، فى هذه المدينة ٤٠٠ سنة [١] فلو رجعنا أربعمائة سنة إلى الوراء لرأينا أن عام ١٧٣٠ وهو بدء إعلان تتويج الإله ست إلها للبلاد كلها يوافق بدء سيطرة الهكسوس على مصر [٢] .

أما السبب الذى حدا برمسيس الثانى إلى إقامة هذا الأثر فهو ولا ريب تمجيد لهذا الإله الذى كان يحتل المكانة الأولى فى المدينة التى جاءت منها عائلة هذا الملك.

ملوك الهكسوس :

إذا أردنا حصر ملوك الهكسوس سواء من ذكرهم مانيتون أو من ذكرهم الإفريقى (Africauss) أو من وصلت إلينا أسماؤهم مكتوبة على الآثار لوجدنا أمامنا جدولا طويلا من الأسماء وبخاصة ما جاء منها مسطرا على الجعارين .

ولنبدأ الآن بمانيتون . فنراه قد قسم ملوك مصر فى عهد الهكسوس إلى ثلاث أسرات أولاها وهى الأسرة الخامسة عشرة تتكون من ستة ملوك يبدأون بالملك ساليتيس ثم يليهم ملوك الأسرة السادسة عشرة (فى مختصر الأفريقى) وعدد ملوكها اثنان وثلاثون ثم بعد ذلك ملوك الأسرة السابعة عشرة المعاصرون لملوك طيبة وعددهم ثلاثة وأربعون .

وقد تكلم عن هؤلاء الملوك وآثارهم بالتفصيل كل من الدكتور باهور لبيب [٣] والدكتور شتوك [٤] فى رسالتيهما عن هذا العصر ويكفينا فقط أن نشير إلى بعضهم مثل الملوك الثلاثة الذين يتسمون باسم أبوفيس (إيبيبى باللغة المصرية) والذين عثر على آثار كثيرة تحمل أسماءهم فى أماكن عديدة من مصر ، ومن بينها تماثيل وأحجار منقوشة وبعض آثار صغيرة مثل الخنجر المصنوع من البرونز الذى عثر عليه فى سقارة فى مدفن شخص يسمى « عبد » وكان هذا الخنجر باسم شخص سامى آخر اسمه « نحمان » .

ومن أهم ملوك الهكسوس الذين لا يمكن إغفال ذكرهم الملك المسمى « خيان »

وربما كان هو الذى ورد فى قائمة مانيتون تحت اسم جناس (Jannas) ونعرف من آثاره الكثيرة أنه كان يحمل لقب « حقا خاسوت » من بين ألقابه ، وكان أيضا رئيس الجند ، وكان ابن الشمس ، كما كان يسمى الإله الطيب مثل ملوك مصر السابقين . ومن المهم جدا أن نعرف أن آثار هذا الملك عثر عليها فى جهات مختلفة من مصر، وفى سورية ، وفى فلسطين ، ومنها أيضا الأسد الذى يحمل اسمه الذى رؤى فى بغداد يوما ما لدى أحد تجار الآثار وغطاء اناء من المرمر جاء من حفائر السير أرثر إيفانز فى كريت .

وما من شك فى أن « خيان » كان من أعظم ملوك الهكسوس ولكن وجود بعض الجعارين باسمه فى سورية وفلسطين ، أو تمثال صغير لأسد لا يزيد طوله عن ٤٥,٢سم فى بغداد أو غطاء آنية متوسطة الحجم فى كريت لا تجعلنا نتساق وراء من يذهب بهم الخيال إلى جعل هذه الأشياء أساسا لنظرية اتساع ملك الهكسوس ، وأنهم كانوا على رأس امبراطورية شملت مصر وسورية وفلسطين والعراق وجزر البحر الأبيض المتوسط فإن هذا غير مقبول ولا يستند على أى دليل جدى ؛ لأن جميع هذه الآثار من السلع التى يمكن أن يقال عنها إنها سلع تجارية وسهل حملها من مكان إلى مكان ، وعلى هذا فإن الإتجاه الحديث يخالف المؤرخ الكبير إدوارد ماير فيما رآه (١) .

٣ - طرد الهكسوس

كان مركز حكم الهكسوس فى شرقى الدلتا ، ولكن نفوذهم امتد مع الزمن فشمل الدلتا بأكملها والصعيد ، وإن كنا نجهل الصلة التى كانت بين الهكسوس وأبناء البلاد ، ونجهل أيضاً تقسيمها الإدارى فى ذلك العهد ، فإننا نستطيع أن نستشف مما وصل إلينا من وثائق أنه ليس بمستبعد أن يكون الهكسوس قبلوا دفع الجزية ممن والاهم من أمراء البلاد الذين ظلوا على رأس إماراتهم عندما غزوا مصر وآثروا السلامة فلم يدافعوا عن وطنهم .

فإذا كان هناك حقيقة أمراء مستقلون فإن أحدا منهم لم يجرؤ على ادعاء الملك وتلقيب نفسه بألقاب الفراعنة المصريين كما كان الأمر فى الأسرة الثالثة عشرة ، ومرت أيام الأسرتين الخامسة عشرة والسادسة عشرة دون أن يكون هناك بين أمراء البلاد من يستطيع مقاومة نفوذهم ، ولكن فى الأيام الأخيرة من حكمهم بدأ بعض أمراء الصعيد يحسون بقوتهم ، وكان أكثرهم نفوذا وأعظمهم سلطانا أمراء طيبة الذين

أخذوا يتحالفون مع جيرانهم فى شمالى طيبة وجنوبيها ، ولكنهم ظلوا يدفعون الجزية لملوك الهكسوس . وجاء اليوم الذى رأى فيه هؤلاء الأمراء أنهم أصبحوا ذوى حول وقوة ، وأن قوة أعدائهم فى الشمال أخذت فى الإنحلال فلم يترددوا فى اعتبار أنفسهم ملوكا لإقليمهم ، وبدأوا يكتبون أسماءهم فى خانة ملكية مسبوقة بألقابهم التقليدية بأنهم ملوك الوجهين القبلى والبحرى ، وهؤلاء هم ملوك الأسرة السابعة عشرة الذين كانوا معاصرين للمتأخرين من ملوك الهكسوس فى الدلتا .

ولسنا نعرف على وجه اليقين مدى العلاقة بين هؤلاء الملوك الطيبين وملوك الهكسوس ، فمن المرجح أن الطيبيين امتنعوا عن دفع الجزية ، أو أن ملوك الهكسوس رأوا خطرا فى ترك أمراء طيبة وشأنهم فبدأ الاحتكاك بين الفريقين . والوثيقة الأولى التى تتحدث عن بدء النزاع ليست وثيقة معاصرة وإنما هى وثيقة من عصر متأخر من عصر الرعامسة أى يرجع تاريخ كتابتها إلى بضع قرون بعد طرد الهكسوس من مصر ، وربما كان مرور بهذا الزمن وطبيعة هذا النص كافيين لإدخال كثير من الخيال على محتوياته . تلك الوثيقة هى بردية ساليبه ١ (١) . ونعرف من هذه الوثيقة أن الطاعون كان قد إجتاح البلاد ، مشيرين بذلك إلى وجود الهكسوس فى مصر ، وأن البلاد كانت خاضعة لهم وأن الملك أبوفيس جعل من الإله سوتخ معبودا لمصر ولم يقدم قربانا لإله غيره ، وبنى له معبدا إلى جوار قصره ، وكان يعبده دون حياء كما كان يعبد الناس فى مصر إله الشمس رع – حورحتى . وكان سقننرع فى ذلك الوقت حاكما على طيبة ولم يقبل أن يعبد إلها غير الإله أمون – رع .

ونعرف من سياق القصة فى بردية أن سقننرع كان يعترف بسيادة ملك الهكسوس ، ولهذا استقبل رسول أبوفيس بحفاوة عندما جاءه من أواريس ليبلغه بأن أفراس النهر فى مياه طيبة تقلق نوم أبوفيس وهو فى قصره فى الدلتا ولهذا فهو يطلب منه إسكاتها ، وأن يهجر أفراس النهر ذلك المكان ، وذلك إلى جانب طلبه الآخر وهو ضرورة عبادة الإله سوتخ . وحاول سقننرع تهدئة خاطر الرسول ، ثم تملكته الحيرة فجمع رجاله لاستشارتهم . ولكن البردية ليست تامة لسوء الحظ ، وإن كنا نستطيع أن نخمن أن السبب فى كتابة مثل هذه القصة هو تسجيل انتصار الملك سقننرع على عدوه وربما كان الانتصار نفسه هو الذى أجبر الهكسوس على الاعتراف باستقلال حكام طيبة ، أو على الأقل أجبرهم على السكوت .

أما الملك أبوفيس فربما كان واحد من ثلاثة تسموا بهذا الاسم وذكرهم مانيتون ضمن ملوك الأسرة السادسة عشرة ، وبنى أحدهم وهو أبوفيس (عاقننرع) معبدا ، أو على الأقل أصلحه أو بنى جزءا منه فى أواريس ، ولهذا نرجح أن يكون هو الملك الذى أراد مناوأة سقننرع وبدأت فى أيامه المعركة الأولى من سلسلة المعارك التى انتهت بطردهم من مصر . وإذا كانت بردية ساييه ١ هى الفصل الأول من كتاب التحرير فإن الفصل الثانى نقرؤه عندما نفحص مومياء سقننرع ، وقد أبقى عليها الزمن وهى محفوظة الآن فى المتحف المصرى ، فنرى أن صاحبها مات متأثرا من جراح كثيرة فى صدره وضربه فأس فى رأسه مما يجعلنا نرجح أن يكون هذا الملك قد مات فى الحرب [١] ، وخط بدمه صفحة نقية فى تاريخ بلاده . أما الفصل الثالث من القصة فإننا نقرؤه بشىء من التفصيل فى نص معاصر كتب فى أيام الملك كامس (كاموسه Kamosé) ووصل إلينا أولا منذ أعوام طويلة على لوحة صبى فى أحد المكاتب أملاها عليه مدرسه كقطعة إملاء ثم عثر على جزء من لوحة من الحجر الجيرى فى الكرنك عام ١٩٢٨ . واللوحة الأولى هى المشهورة باسم لوحة كارنارفون وقد نشرها جاردنر [٢] ، واللوحة الثانية التى نشرها لاكو [٣] وهى دون شك جزء من اللوحة الأصلية التى نقلت عنها لوحة كارنارفون .

ويبدأ هذا النص القديم بالتاريخ . فنعرف أن ذلك كان فى السنة الثالثة من حكم الملك كامس وهذا هو النص :

« الملك القوى فى طيبة كامس له الحياة إلى الأبد . إنه ملك صالح وقد حباه رع ليكون ملكا حقا وسلم إليه القوة وأيم الحق . وكان جلالته فى القصر وقال للمجتمعين من كبار رجال الذين كانوا حوله : أريد أن أعرف مدى سلطانى إذا كان هناك حاكم فى أوراريس ، وآخر فى كوش ، وأجلس شريكا بين أسيوى ونوبى ويحكم كل منا جزء من مصر ، إن هذا الذى يشاركنى فى الأرض يجعلنى لا أستطيع الوصول إلى منف وهى تابعة لمصر ، لأنه يتحكم فى مدينة الأشمونين . والناس فى نصب لأنهم جميعا فى خدمة الأسيويين . سأحاربه وسأبقر بطنه؛ لأن رغبتى هى أن أخلص مصر وأسحق الأسيويين » . وقد أجابه مجمع رجاله بما يأتى : « انظر إن

منطقة الأسيويين تمتد حتى القوصية ، ثم حركوا ألسنتهم وقالوا بصوت واحد « ولكننا فى طمأنينة ونحكم مصرنا ، والفتين بخير ، وجميع البلاد حتى القوصية إلى جانبنا والرجال يحرثون لنا أراضينا ، وترعى ماشيتنا فى الدليل ، ويأتينا الشعير علفا لحنازيرنا . لم يأخذ أحد ماشيتنا غصبا ولم يعتد علينا معتد . إنه يتملك على أرض الأسيويين ونحن نتملك على أرض مصر . أما إذا جاءنا أحد واعتدى علينا فإننا نقاومه » . ويستمر النص فيقول إن ما فاهوا به أحزن قلب الملك وصاح فيهم بأنه سيطرد هذا الذى يشاركه الملك ، وأنه سيذهب إلى الشمال لينقض عليه وأنه واثق من أن النصر آت ، وأن البلاد كلها ستهتف لهذا الحاكم فى طيبة وستقول عنه « كامس هو حامى مصر » .

إذن لقد بدأ النضال مرة أخرى ولم يكن هذه المرة دفعا لتحرش كما حدث فى أيام سقنرع بل أن الشبل نما وترعرع وأصبح شبيها بأبيه ، وأحس أنه لابد من تطهير البلاد مما تحمله أرضها من رجس وشر . ونفهم من باقى النص أن أول معركة خاضتها جيوش طيبة كانت فى مدينة نفروسى فى إقليم الأشمونين وأن حاكمها المسمى تيتى بن بيأوبى جعل من إقليمه عشا للأسيويين ، أى أنه كان ممالئا لهم ، وكانت فى بلده حامية للهكسوس ولكنه انتصر عليهم ، وعند هذا الكلام ينتهى النص.

كانت هذه كل معلوماتنا عن حرب كامس مع الهكسوس حتى شهر يوليه ١٩٥٤ ، إذ شاء الحظ الحسن أن يعثر رجال مصلحة الآثار ، أثناء ترميمهم لبعض آثار الكرنك على لوحة ، استخدمها القدماء لتكون بين أحجار الأساس التى يقوم فوقها أحد التماثيل الكبيرة للملك ينتزم أحد فراعنة الأسرة الحادية والعشرين . كانت اللوحة كاملة لحسن الحظ ، وهى من الحجر الجيرى وارتفاعها ٢٢٠ سم (ولكنها كانت فى الأصل ٢٣٥ وتهشم الآن جزء من أعلاها وجزء من أسفلها) ، وعرضها ١١٠ وسمكها ٢٨ سم ، وتغطى الكتابة أحد سطحيها وجانبيها ، وعليها ٣٨ سطرا من الكتابة تكمل لنا قصة كفاح كامس ضد الهكسوس (١) .

ونعرف الآن أن النص الذى أمر كامس بكتابته تسجيلا لانتصاره لم يكن على لوحة واحدة وإنما كان على لوحتين أقيمتا على الأرجح على جانبى مدخل أحد

الهياكل في معبد الكرنك ، وكان الجزء الأل من النص مكتوبا على لوحة مماثلة للوحة التى عثر عليها أخيرا ، ولكنها تعرضت لسوء الحظ للتحطيم ولم يبق منها إلا أجزاء قليلة هى التى عثر عليها داخل البيلون الثالث فى الكرنك من عهد الأسرة الثامنة عشرة ، ولكن نصها الكامل تقريبا معروف لنا من لوحة كارناڤون . أما الجزء الثانى وهو الذى كان على الجانب الأيسر من المدخل فقد ظل سليما حتى استخدمه ملوك الأسرة الحادية والعشرين فى أساس أحد التماثيل كما ذكرنا .

والنص الذى على اللوحة الجديدة يكمل ما سبقه على اللوحة الأخرى ، وينحى باللائمة على ملك الهكسوس ويذكر هزيمته أمامه وخوف الأسيويين من جيش مصر و ؛ أن نساء أواريس لن يلدن بعد ذلك ؛ . ويصف كامس غريمه ؛ أپيپى ؛ بأنه زعيم ؛ رتنو ؛ ويتحدث على حربه على سطح الماء فى معركة نيلية ويذكر انتصاره واستيلاءه على الكثير مما كان لدى عدوه ، وبخاصة ثلاثمائة سفينة مصنوعة من خشب الأرز ، كانت تفيض بمحتوياتها من الذهب واللازورد والفضة والفيروز وفؤوس القتال المصنوعة من النحاس ، والكثير من زيت الزيتون والبخور والدهن والعسل والكثير من أنواع الأخشاب الثمينة . ويذكر كامس على هذه اللوحة أنه أسر رسولا اتخذ طريق الواحات بعث به أپيپى (أبوفيس) إلى كوش يحمل رسالة مكتوبة بخطه يحرض فيها أمير كوش (النوبة العليا) على مهاجمة مصر من الجنوب أثناء اشتغال كامس بحربه ، ويعده بأن يتقاسم معه مدن مصر .

وخشى كامس أن يحدث هجوم عليه من طريق الواحات فأرسل حملة من رجاله احتلت الواحات البحرية ؛ لأنها على رأس الدروب الموصلة إلى مصر الوسطى . ثم يعدد كامس المدن التى استولى عليها ، وفرح أهل طيبة بانتصاراته واستيلائه على البلاد الواقعة بين الأشمونين وأطفيح ، ولكن الاستيلاء على الوجه البحرى كله وعلى أواريس عاصمة الهكسوس لم يتم على يديه بل تم على يدى أخيه أحمس كما سنرى .

وقبل أن ننتقل إلى نقطة أخرى أحب أن ألفت النظر إلى حقيقة هامة وهى وجود جنود من الميجا ، وهم من النوبيين الحاميين سكان شرقى السودان والصحراء الشرقية ، بين رجال كامس كما جاء فى لوحة كارناڤون ، وهذا فى حد ذاته دليل على أن أمراء البيت الطيب كانوا قد استعادوا صلتهم بعض الشىء بالجنوب وكان بعض أبناء النوبة مشتركين فى حرب الاستقلال (١) .

ولسنا نعرف كيف انتهت أيام البطل الثانى من أبطال الجهاد ولكنا نرى فجأة أمامنا البطل الثالث وهو الملك أحمس كامس الذى تسلم منه راية الجهاد وأعلنها حرباً لا هوادة فيها فتم له النصر وأجلى العدو عن مصر كلها . ولسنا نعرف قصة حروب أحمس من أى أثر ملكى ، ولكن الأيام قد أبقيت على مقبرة أحد قواده واسمه « أحمس بن إبانا » من أهل منطقة الكاب على مقربة من إدفو ، فإن هذا القائد يحدثنا عن تاريخ حياته وتنقله فى الخدمة العسكرية كقائد لإحدى السفن ، ويذكر لنا كيف تبع سيده الملك أحمس فى حربه مع الهكسوس وكيف سقطت أواريس بعد حصارها وكيف فر الهكسوس إلى مدينة شاروهن (Sharuhen) فى جنوبى غزة وأن المصريين حاصروها ثلاث سنوات حتى سقطت فتم لهم النصر على أعدائهم . ومكان مدينة شاروهن الآن هو تل فرعه (Tell Far'ah) وهى المنطقة التى أطلق عليها فلندرزبترى اسم بيت بلث (Beth Peleth) فى تقارير حفائره [1] . وبعد أن اطمأن أحمس تماما إلى سحق أعدائه وجه همه إلى إعادة تنظيم بلاده ولم يجد هناك ما يمنعه من القيام بحملة إلى الجنوب .

وهكذا خرجت جحافل جنود مصر من طيبة لمحاربة الهكسوس فلم تعد إلى وطنها إلا بعد القضاء عليهم ووضع الحجر الأول فى صرح الإمبراطورية المصرية .

خاتمة الهكسوس :

احتل الملوك الثلاثة سقنرع وكامس وأحمس مكان الصدارة فى تاريخ عائلتهم ولكن يجب ألا ننسى أنهم كانوا آخر ملوك الأسرة السابعة عشرة الطيبية . نعرف قبلهم ثمانية على الأقل كان بعضهم يتسمى باسم « أنتف » والبعض الآخر باسم « سوبك إم ساف » والبعض الآخر بأسماء أخرى ، وقد اهتم بدراستهم الأثرى ونلوك الذى قام بحفر مقابرهم فى منطقة الطارف ودراع أبو النجا وقارنهم بما جاء فى بردية أبوت [2] ، ثم قام بدراستهم حديثا شتوك فى كتابه الذى أشرنا إليه أكثر من مرة فى هذا البحث .

وقد عثر ماريت على قبور بعضهم مثل قبر الملكة « إعج حوتب » زوجة سقنزع وأم الملك أحمس ، والتى تزين حليها بعض خزائن المتحف المصرى ، ونعرف أيضا من بين ملكات هذا البيت اسم الملكة « تتى شرى » التى لعبت دورا كبيرا فى تاريخ الأسرة وكانت جدة للملك أحمس ، واشتهرت فى عصرها وبعد عصرها ملكة أخرى وهى الملكة أحمس نفرتارى التى توزوجت زخويها كامس وأحمس واحدا بعد الآخر .

ولا شك أن هذا البيت المالك كان متأثرا فى الناحية الفنية بما وصل إلى مصر من تأثيرات أسيوية فى بعض قطع الحى ، إذ نرى فى زخرفتها ما يجعلنا نقارنها بالطرز الزخرفية المعروفة لنا بأنها كانت شائعة فى سورية وفى كريت . ولكن إذا درسنا الآثار المصرية بوجه عام لا نرى أثرا كبيرا لاحتلال الهكسوس فقد ظلت التقاليد الفنية فى صناعة التماثيل وفى اللوحات وفى الحلى بوجه عام ، تتبع ما كانت عليه فى آخر أيام الأسرة الثانية عشرة اللهم إلا بعض التطور الذى يحتمه مرور الزمن. وكذلك اللغة ، لم يدخلها عنصر غريب أو يحدث فيها تطور يذكر ، وإذا قرأنا النصوص المبكرة فى الأسرة الثامنة عشرة فإننا نرى أن تكاد تختلف نحوها أو مفرداتها عن لغة الأسرة الثانية عشرة .

أما عن الهكسوس أنفسهم فإن حروب أحمس فرقت شملهم ثم جاءت حروب تحوتمس فقطعت دابرهم ، ومحتهم محوا تاما من صفحات التاريخ كقوة حربية أو كأمة لها كيانها . كان إحتلال الهكسوس لمصر أول ما تعرضت له من ذلة على يد أجنبى ، لهذا كان انتقام المصريين من أعدائهم على قدر ما أحسوه من مرارة ، وظلت هذه المرارة فى نفوسهم لم يقض عليها الزمن حتى فيما كتبه مانيتون عن طردهم من مصر بعد مرور نحو ١٣٠٠ عاما . بل وحتى الآن وبعد مضى أكثر من ثلاثة آلاف وخمسمائة عام مازال المصريون يلعنونهم ، كما لعنهم أجدادهم ، كلما مروا فى دراستهم للتاريخ القديم بهذه الفترة من تاريخ بلادهم .

وبالرغم من أن أحمس الأول ينتسب إلى الأسرة السابعة عشرة فإن مانيتون وضعه على رأس أسرة جديدة وهى الأسرة الثامنة عشرة التى بدأت بحكمه عام ١٥٧٠ قبل الميلاد ، وقد أحسن مانيتون فإن حكم هذا الملك كان بداية عهد جديد فى تاريخ البلاد .